16 em Année No. 758

Lundi — 12 — 1 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الادارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الاعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــدد ٧٥٨ « القاهرة فى يوم الاثنين ٣٠ صفر سنة ١٣٦٧ — ١٢ يناير سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

لا تَعَـــلُّوا

للأســـتاذ محمود محمد شاكر

شدَّ ما فزعتُ حين قرأتُ فى صدر الأهرام (الاثنين ٥ يناير ١٩٤٨) نبأ تلك المحاولة الجديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب (أى مراكش) . وقد آثر الموحى بهذا المقال أن يسمى هذا الأمر « محاولة جديدة » ولكنى أعلم أنها ليست سوى « حيلة » أخشى أن تغرر بكثير من قراء العربية ، لقلة اطلاعهم على أنباء هذا الشعب الأبى السجين الذى ضربت عليه فرنسا نطاقاً من الكتمان والصمت ، لم يضرب على شعب قط فى هذه الدنيا ، ولا فى بلاد السوفيت . وأنا أحب أن أكشف الغطاء عن هذه « الحيلة » التى يُرادُ بها تضليل الناس عن حقائق كالشمس ظاهرة لكل من متعه الله بنعمة البصر . وأحب أن أصفى هذا الكلام لقرَّاء « الرسالة » لأنهم همُ الفئة المحلية التى تقرأ لتعلم وتعمل بما تعلم .

فهذا الشىء الذى سماهُ بعضهم « محاولة جديدة للتوفيق بين فرنسا والمغرب » ، ليس شيئاً سوى محاولة من فرد واحد يعاونه قليلٌ من الناس على إحداث خرق فى إجماع أمة كاملة ، وصدع بنيان مرصوص لم أعلم فيه إلا خيراً وتماسكا وبقاء على كلمة الحق التى لا تزول ، وهى « لا مفاوضة إلا بعد الجلاء والاستقلال » إن كان ثمة حاجة إلى مفاوضة أو معاهدة .

وبلاد المغرب ثلاثة : تونس ، والجزائر ، ومراكش ، وفى كل قطر من هذه الأقطار الثلاثة حزبٌ له الكثرة الساحقة ، بل لا يكادُ يوجد فيه أقلية حتى نقول إن لهذا الحزب كثرة ساحقة ، بل الحزبُ هو الأمة ، وهو التعبير الصادق عنها . وهذه الأحزابُ لا يمكن أن تسمى أحزاباً بالمعنى المعروف فى مصر والذى كان وليد الاحتلال البريطانى الذى فرَّق الكلمة وباغض بين القلوب .

فى تونس الحزبُ الدستورى ، ورئيسه الحبيب بورقيبة . وفى الجزائر حزبُ الشعب ، ورئيسه أحمد مصالى الحاج ، ومندوبه فى مصر والسودان هو الشاذلى المكى . وفى مراكش حزبُ الاستقلال ورئيسه محمد علال الفاسى . وفى المنطقة الخليفية عن مراكش حزبُ الإصلاح ورئيسه عبد الخالق الطريس . وهذه الأحزابُ هى المعبرة عن بلاد المغرب كلها ، ورؤساؤها جميعاً مقيمون الآن فى مصر ، وجميعهم على رأى واحد قد أذاعوه فى كل وقت وفى كل بلد ، وهو « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » وهم جميعاً لا يزالون إلى هذه الساعة على هذا الرأى لم يتحوَّل عنه أحدٌ منهم ، ولن يتحوَّل بإذن الله . وإجماعُ هؤلاء الرجال هو إجماع أمم المغرب كلها ، شعوباً وأفراداً . وهؤلاء الرجال هم الذين شرَّدتهم فرنسا أو إسبانيا وسجنتهم ونفتهم واضطهدتهم ، وباعدت بينهم وبين أهليهم وحلائلهم وأبنائهم ، وأرادت أن تقصم أعوادهم فلم تجد إلا بأساً ومضاء ومصابرة وجهاداً فى سبيل

الحق الأول لكل شعب وهو الحرية والاستقلال . وهؤلاء الرجال هم الذين بقوا إلى اليوم لا ينخدعون بما انخدعت به أمم من قبلهم من مفاوضات ومعاهدات ومحادثات ، وسياسات خربة خراب ذمم اليهود . ومن هؤلاء الرجال وحدهم يؤخذ حديث مابين فرنسا والمغرب ، وعلى هؤلاء الرجال وحدهم يعتمد ، وإلى هؤلاء الرجال وحدهم تلقى شعوب تونس والجزائر ومراكش بالقيادة ، بعد أن جرَّبتهم وعرَفتهم واطمأن قلبها إليهم وإلى ما يأتون وما يذرون . وهم قوم لا يفتات عليهم ، ولا يقضى على شعوبهم وهم غُيَّب . وهم رجال يعملون ولا يدَّعون ولا يتظاهرون ، ولا يخادعون الناس بشيء لم يكن ، أو بسلطان لهم لم ترضه بلادهم وشعوبهم ، وهم قائمون على الدعوة إلى تحرير بلادهم ، ولهم مكاتب فى مصر والشام ، وفى فرنسا وإنجلترا وأمريكا ، لم تزل تتكلم بالكلمة الواحدة التى لا يحيدُ عنها وهى: «لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال».

فما هو إذن « حزبُ الشورى والاستقلال » الذى اتخذ لنفسه رئاسته محمد بن الحسن الوزانى هداه الله ، واحتمل ثقل النيابة عنه محمد العلمى العربى سدَّد الله خطاه . إنه حزب كما تسمى الأحزاب ، ولكنى أعلم ويعلم كل من وقف على حقيقة النبأ فى بلاد المغرب ، أنه حزب لا يقبعه من شعب مراكش أحد إلا من شذ عن إجماع أمة قد جاهدت منذ سنة ١٩١٢ وظلت تقاتل فرنسا وإسبانيا إلى سنة ١٩٣٣ ، لم تضع السلاح إلا بعد أن فنيت صفوة المجاهدين ، وقلَّ الزاد وعزَّ السلاح وحوصروا حصاراً شديداً أكثر من إحدى وعشرين سنة كاملة .

وما أظن أحداً نسى جهاد البطل الذى أذلَّ هامات الإسبان والفرنسيس حتى خدعوه وأمَّنوه ثم غدروا به ، وهو الأمير محمد ابن عبد الكريم الخطابى .

إن هذا الحزب الذى قدَّم إلى المقيم الفرنسى الباغى الجنرال جوان « مذكرة ضافية لتعمل حكومة باريس على تحقيق ما ورد فيها بما يحفظ حسن العلاقات مع فرنسا » لا يعبر ألبتة عن عزيمة شعب مراكش ، بل يعبر عن رأى رئيس الحزب ونائبه وحدهما ؛ فنحنُ نعلم علم اليقين أن حزب الاستقلال ، وحزب الإصلاح فى مراكش ، هما صاحبا الرأى الأول والأخير فى هذا الأمر الذى يتعلق بإجماع الشعب المراكشى ، وأن الأمة المراكشية كلها من وراء كلمتها : « لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال » ، ونحن نعلم أن جلالة محمد الخامس ملك مراكش يعلم أن الشعب مجمع على أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال ، وأنه هو نفسه الذى يتولى قيادة الدعوة إلى أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال .

وقد استطاع نائب حزب الشورى هذا ، أعنى الأستاذ العلمى، أن يوجه نظر الصحافة المصرية إلى هذه البدعة التى مضت عليها شهور منذ قام محمد بن الحسن الوزانى داعياً إلى الاتفاق مع فرنسا ، أو على الأصح مظهراً رغبته فى الاتفاق مع فرنسا ، بعد ابتعاده عن حزبه الذى نشأ فيه ، وهو حزبُ الاستقلال الذى يرأسه محمد علال الفاسى . وقد نجح الأستاذ العلمى مرتين ، ولكنَّ هذه الأخيرة هى أشدهما خطراً . ولو علمت الصحافة المصرية أن شأن حزب الشورى الذى ذكرناه ، لا يكاد يكون شيئاً فى بلاد مراكش ، لطوت هذه الصحيفة مرة واحدة ، ولرجعت فى حديثها عن شأن مراكش إلى رؤساء حزب الاستقلال وحزب الإصلاح وسائر الأحزاب المغربية فى تونس والجزائر ، ولو فعلت لعلمت أن هذه « المحاولة الجديدة » ليست سوى محاولة رجل فرد زعيم حزب ، نعم ، ولكن بغير شعب .

وكان حقاً على هذه الصحف المصرية أن ترجع إلى مكتب المغرب العربى لتقف منه على حقيقة ما تقول : وكان حقاً عليها أن تعتبر هذا الحزب بأشباهه عندنا من الأحزاب التى لا شعب لها إلا رئيسها ، وكان حقاً على هذه الصحف أن تعرف أن سائر رؤساء أحزاب المغرب مقيمون فى مصر منفيون عن بلادهم ، فكان لزاماً أن ترجع إليهم قبل أن تنشر أشياءَ تمزق إجماع أصحاب الحق على أن لا مفاوضة إلا بعد الاستقلال . وكان حقاً عليها أيضاً ، إذ نسيت أن تفعل هذا ، أن تفكر فى شأن رئيس حزب الشورى المفاوض الجديد ، فهو مقيم تحت ظل السلطان الفرنسى هناك فى مراكش ، وهؤلاء سائر رؤساء الأحزاب المغربية مشردون منفيون مهاجرون إلى مصر ، لكى يخدموا بلادهم ويجاهدوا فى سبيلها وهم بنجوة من سلطان فرنسا . فأى هؤلاء أولى بأن يكون هو المطالب بحق بلاده ؟ وأيهما أولى بأن يؤذن له ويُستمع ؟ وأيهما أصدق تعبيراً عن رغبة الشعب الذى ظل إحدى وعشرين سنة يقاتل فى كل بقعة

من بقاع المغرب وحيداً مجهولا حتى تفانى شيوخه وهلك كهوله وذبح فتيانه ، وورّثوا أبناءهم أحقاداً لا تموت على فرنسا وعلى الطغاة من أشباهها .

وهؤلاء الزعماء الذين ذكرناهم آنفاً هم بقية السيف ، وهم المشردون المعذبون ، وهم العاملون الصادقون الذين آثروا الجهاد على أموالهم وأنفسهم وأهليهم وذراريهم ، وخرجوا يطوفون فى الدنيا ليؤلبوا العالم كله على بغى فرنسا وطغيانها وعدوانها وظلمها ، وقد تركوا وراءهم شعوباً تدين لهم بالطاعة ، ولا ترضى أن تدين لأحد سواهم ، لأنهم إنما يعبرون عن سر عزائمها ونياتها ، أى عن الجهاد فى سبيل بلادهم بلاهوادة ، وإلى أن ينالوا حقهم كاملا لم تخوّنه مكايد الاستعمار وخُدعه . وقد انتظ هؤلاء الأبطال الصناديد بما لقى بعض إخوانهم من أمم الشرق ، حين زلّقت أقدامهم فزلّوا فى المهاوى المظلمة المتشعبة التى تسل القوى من نفس بسالكها ، ألا وهى هوّة المفاوضات والمعاهدات والمحادثات ، التى ابتدعتها شياطين الاستعمار الذين يعرفون باسم ساسة بريطانيا ، ففرقوا بين الأخوين ، وباعدوا بين العشيرتين ، ومدوا المطامع لخائنة الأعين ، فهب فريق من هنا يقاتل فريقاً من أهله هناك ، ووقفت بريطانيا بينهما تنظر وتضحك وتسخر ، وتحرك هذه الدمى إلى أن تنقطع الحبال فتهوى فى الهوة السحيقة الملعونة ، هوّة المفاوضات والمعاهدات والمحادثات . لقد عرفوا ذلك فأبوا أن يكونوا طعاماً لمستعمر جبار يريد أن يتلعّب بهم ، فاختاروا ما هو أهدى لأممهم وأبقى على وحدتها ، وأشد لقوتها ، وأنأى بها عن العداوات بين بعض الشعب وبعض . لقد عرفوا أن قيادة الثُّوار ، تقضى عليهم أن ينظروا إلى خير هؤلاء الثوار قبل أن ينظروا إلى خير أنفسهم ، وعرفوا أن الذى هم مقدمون عليه هو الجهاد الذى لا ينتهى حتى ينتهى هذا الاستعمار البغيض ، وأن الأمم المجاهدة فى سبيل حقها ينبغى أن تظل مجاهدة حتى تنال حقها ، وأنه ينبغى أن ينشأ الجيل من شباب الأمة بعد الجيل ، وهو يرى أمامه مجاهدين لا يفترون ولا يضعون السلاح ، فذلك أحرى أن يملأ قلب الجيل حميّة وأنفة ورغبة فى بلوغ الكمال فى العلم والمال والسلاح ، حتى يجاهدوا كما جاهد آباؤهم وإخوانهم من قبل . وعرفوا أن المهادنة فى مثل هذا إنما هى مهادنة تورث الشعب ضعفاً ، وتمكن للدساسين والخبثاء أن يتخافتوا بينهم فى الدعوة إلى ما يفت القوى ويضعضع العزائم ، فلا يلبث أن ينفض عن المجاهدين من تخاذل وآثر الراحة على لأواء الجهاد . وعرفوا أيضاً أن الشعب الثائر غير الشعب الذى يتبجح فى مسارح السلم ، فأولها ينبغى أن يظل ثائراً لا يعرف اللين أو التسليم أو الأخذ بيد والإعطاء بالأخرى . وفيم يلين أو يسلم أو يأخذ بيد ويعطى بأخرى ؟ أفى الحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ؟ أيبتونى أى شىء من هذه الثلاثة يتجزّأ حتى يقبل اللين أو التسليم أو الأخذ بيد والإعطاء بأخرى ، وهو جوهر المفاوضات والمعاهدات والمحادثات.

لقد عرف هؤلاء النفر الذين رضى الله عنهم ورضيت عنهم أممهم ، أن الذى بينهم وبين فرنسا هو الحرية والاستقلال والكرامة الإنسانية ، فعلى فرنسا أن تسلم وأن تلين وأن تعطى بيد ولا تأخذ شيئاً ، لأنها إن تأخذ إذا أخذت إلا ذلك الذى أعطت. وهذا بداهة العقل ، وبداهة النفس الطيبة ، وبداهة الفطرة الإنسانية التى لا تنخدع بزيف الكلام وتزوّقه . إما الحرية والاستقلال ، وإما الصراع فى سبيل الحرية والاستقلال ، ولا مفاوضة على شىء ينبغى أن يتم جميعاً أو لا يتم البتة على نقصان وتخوّن وتزبق ، ولا معاهدة لحرّ على ترك شىء من حريته لغاصبه وسالبه والمهيمن عليه بالطغيان والجبروت ، فهو إن شاء منع وإن شاء أعطى .

كلا ، إنه الحق فلا معاهدة ولا مفاوضة ولا محادثة إلا بعد الاستقلال وجلاء آخر جندى فرنسى وإسبانى عن أرض المغرب كله : تونس والجزائر ومراكش . وإن فى البلاء الذى ابتليت به مصر والسودان والعراق وشرق الأردن وسواها من البلاد ، لعظة لكل امرىء أضاء فى قلبه الإيمان بالحرية والكرامة الإنسانية .

وما الذى يريده حزب الشورى الجديد فى مراكش ؟ أيريد أن تلقى بلاد المغرب على يده ما لقينا من بلبلة وضياع وهلاك وضعف ؟ أيريد أن يرى الشعب المراكشى أحزاباً يأكل بعضها بعضا ، ويتشاحن ضعيفها وقويها على مناصب الحكم ؟ أيريد أن يرى كل أسرة فى بلاد المغرب قد مزقتها الأهواء وعصفت بها عواصف الشهوات الخفية إلى متاع قليل من متاع هذه الدنيا من